

فلنصبح فراعنة

لابد أننا نضيق بأنفسنا عندما نقرأ أن الفراعنة قد عرفوا كل شيء وجربوا كل شيء ، ووضعوا أنوفهم في كل شيء ...

فنحن نضيق عادة لأننا نتحدث عن أنفسنا ، ولأننا نجعل عصرنا الذهبي وراءنا ، فإذا تقدمت الشعوب اليوم ، ولم نلحق بهم ، فإننا نقول : كان أجدادنا أسبق من الحضارة الإغريقية والرومانية وبابل وآشور .. كأننا نعتذر عن تخلفنا الحاضر ونعتصم في أمجاد الماضي تماماً كالذي يبرر كسله وفقره ، بأن أخاه غني مشهور .. وأن أحد أجداده كان زعيماً في الثورة العربية .. أو قائداً ضد الهكسوس !

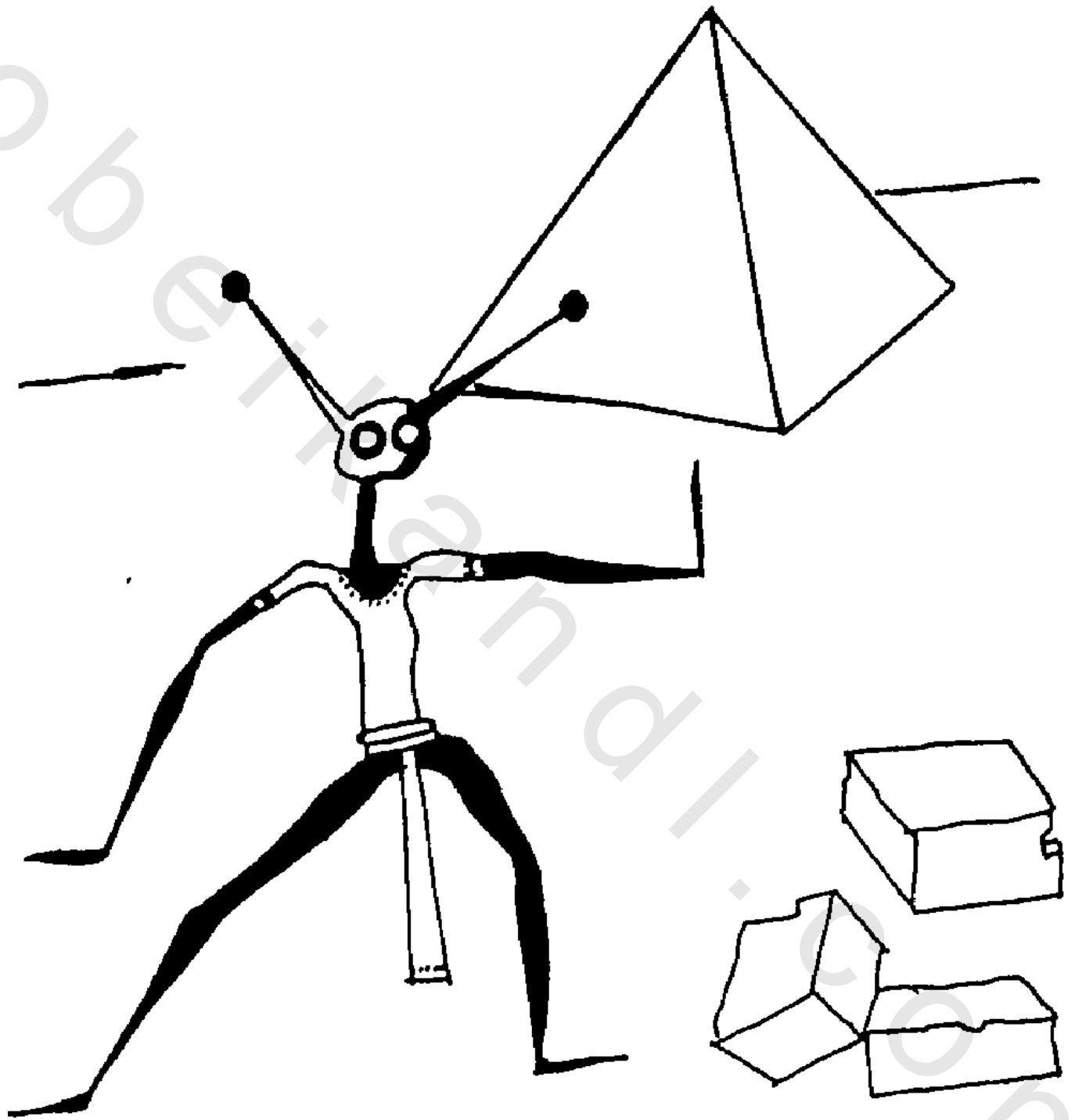
وهذا الضيق طبيعي ، ولكنه مع الأسف ظالم ، ظالم لأنفسنا . فالفراعنة قد عرفوا أشياء كثيرة جداً . وليس هذا رأينا ، وإنما هورأى المؤرخين الأجانب ، والمستشرقين وعلماء الذرة والفلك والأطباء .

بل إن بعض العلماء المعاصرين أصابته الدهشة ، فتصور أن كائنات من كواكب أخرى أكثر تطوراً منا قد هبطت إلى أرض مصر ، وأن هذه الكائنات ساعدت الفراعنة على بناء الهرم ، وعلى تحنيط جثث الموتى ، وعلى إجراء العمليات الجراحية ، واختراع مواد التجميل وهندسة الري واقتصاديات الزراعة .. وأنه من المستحيل أن يكون الفراعنة قد ابتكروا هذه النظريات والتطبيقات العملية لنظريات لم يعرفها الإنسان إلا حديثاً ، دون أن تكون هناك عقول أكبر من عقول الفراعنة .. أي دون أن يكون سكان المريخ أو الكواكب الأخرى قد هبطوا

إلى الأرض. واختاروا وادى النيل وتركوا بصماتهم العملية على معاينه ..
حتى السينما ! لقد صدر كتاب فى أمريكا أخيراً يؤكد أن الفراعنة
هم أول من اخترع الكاريكاتير .. وأن الكثير من الرموز التى فسرهما
المؤرخون تفسيراً دينياً ليست إلا قصصاً فكاهية .. وقصصاً تبث
على الضحك والسخرية من رجال الحكومة ومن رجال الدين ومن
الشعب أيضاً .

فهنالك قصص القطط والكلاب ، ومعارك القطط والفئران
التي ينتصر فيها الفئران عادة ، وهى نفس القصص التي نراها على
الشاشة الآن عندما ينتصر الفأر الضعيف الذكى على القط القوى
الغبي : توم وجيرى وميكى ماوس ..

وهناك قصص القروء والحمير .. وهناك رسومات فى متحف
القاهرة ومتحف لندن ومتحف تورينو تفسر لنا قصة : ياطالع الشجرة
هات لى معاك بقرة ؛ فى الرسومات الفرعونية توجد عجول البحر
فوق الشجرة ، وتوجد القطط والكلاب فى الماء ، وتوجد فرق
موسيقية من الأسماك .. وتوجد محاكم بين الأسود وقضاها من الأغنام ..
لم يبق إلا شيء واحد هو : أن يجد الأمريكان والروس عندما يهبطون
فوق القمر جثة محطة لمصرى قديم فى أحد مراكب الشمس !



فلنصبح فراعنة

كانت

عربة الرش معجزة

المكتشف الإنجليزي « كوك » عندما نزل إلى جزر هاواي انهر منه سكان الجزر . فقد رأوه طويلاً أبيض الوجه أزرق العينين أصفر الشعر . ولكن الذي جعلهم يركعون ويسجدون ويبيكون عند قدميه أنه كان يرتدى البنطلون . وليس البنطلون هو الذي هزهم ولحبط عقولهم . . . وإنما جيوب البنطلون . . . فقد كانوا يظنون أن كوك عندما كان يضع يديه في جيوبه قد وضعهما في بطنه . . . فإذا أخرجهما يندهشون . . . كيف استطاع أن يخرج يديه في بطنه ثم يعيدهما دون أن تتزف الدماء أو يموت . . . وأمام هذه المعجزة العلمية استسلم سكان الجزر الجميلة !!!

ودخل الاستعمار البريطاني من بنطلون جيمس كوك !
والبنطلون الذي يراه الطفل الآن شيئاً عادياً . . . وأحياناً لا يعجبه ،
كان يراه سكان جزر هاواي إحدى المعجزات !
والطفل الآن يرى أن السينما أو التلفزيون شيئاً مألوفاً .
بل إنه يرى أن التلفزيون الموجود في البيت أبسط وأكثر سذاجة
من التلفزيون الموجود في سفن الفضاء . . . في حين كان الناس
ينظرون إلى « خيال الظل » أو الأراجوز على أنه إحدى المعجزات . .
وأحد الشعراء العرب يسجل هذا المعنى منذ سبعة قرون في شعر ركيك :

رأيت خيال الظل أعظم عبرة

لمن كان في علم الحقيقة باق

شخصاً وأصواتاً يخالف بعضها
سواه ، وأشكالاً بغير وفاق

تجيء وتختفي لعبة بعد لعبة
وتفنى جميعاً والمحرك باق ا

والعالم المصرى رفاعة الطهطاوى عندما ذهب إلى باريس رأى
منظراً هز كيانه ، فصلى لله ركعتين ، وطلب منه أن يهدي مصر إلى مثل
هذا الاختراع العظيم - الاختراع الذى رآه هو عظيماً لم يكن سوى
عربة الرش ! فقد كان الناس فى مصر يرشون الشوارع والميادين بالجرادل
وكانت عملية مرهقة .. أما عربة الرش فقد كانت شيئاً رائعاً ا

وسوف يجيء اليوم الذى ينظر فيه الناس إلى سفن الفضاء على أنها
لعب أطفال .. تماماً كما ننظر الآن إلى السيوف والرماح ، ولكن سيظل
هناك شيء صعب يحلم للإنسان باختراعه ولن يقوى على اختراعه ..
وإذا اخترعه فإنه سوف يبتدع شيئاً آخر يدمره .. ذلك الشيء هو حب
الإنسان للحياة .. إن الإنسان قد كره حياته وحياة غيره .. لقد كره
نفسه على هذه الأرض . وليست رحلات الفضاء إلا محاولات بدائية
للهجرة من الأرض !



لماذا يدفن الزوج أعصابه

ربما كان الفارق بين الزوج والعاشق الوطآن هو أن الزوج هو البقية الباقية من العاشق بعد أن اقتلعت أعصابه .. أما العاشق فهو الزوج الذى ماتزال فيه حلاوة الروح !

وإلا فما معنى أن تجيء سيدة وتشكو من زوجها وتقول لى : إنه لم يعد يمسك يدي . إنه لم يعد ينظر فى وجهي . إنه لم يعد يسمعى .. إنه لم يعد .. ولم يعد .. إلخ .

وأنشغل أنا عن الكلام بالنظر إلى وجهها : دموعها لا تدل على أنها حزينة . وإنما فقط على أنها « مندحجة » فى دور السيدة الحزينة .. والأحمر والأبيض فى وجهها يدل على أنها جلست أمام المرأة ساعتين على الأقل وهى تضع الانسجام اللونى بين ملامحها وملابسها وحذاءها وعقدتها وحقيبتها وأنها تستفيد كثيراً من المجلات الفرنسية التى احتفظت بواحدة منها عندما جاءت لزيارتى .. فهذه السيدة بصورتها هذه هى مظهرة تأييد لنفسها . مظهرة تؤكد أن لديها أدباً وثقافة . وأنها قادرة على لفت نظر أى رجل آخر غير زوجها . وقادرة على أن تؤكد أنه فعلاً صاحب ذوق ولكنه بليد الإحساس ..

وسألته متى تزوجته ؟ فقالت ببعض شفيتها : من عشرين سنة .. كأن هذه العشرين سنة شيء قليل فهى ليست إلا المرحلة العشرينية الأولى من زواجها السعيد !

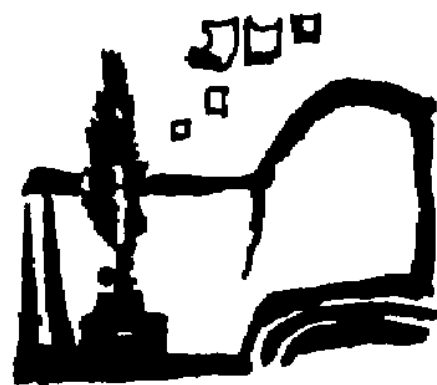
وعلى سبيل إقناعى بأن زوجها لا يعرف قيمتها روت لى حوادث

شخصية جداً في حياتهما ، وكيف أنها استطاعت أن ترتفع بمستواه من الأرض إلى السماء ، وكيف استطاعت أن تجعله بنى آدم ، وكيف أنها احترمتة في حين كان كل الناس ينظرون إليه باحتقار .. ثم بعد هذه العشرة الطويلة ، وبعد هذه الأعمال التي قامت بها من أجله ، وبعد تضحيتها بشبابها وبأهلها وبمستقبلها .. وبعد ..

وقاطعتها : وبعد هذه الفضيحة ؟ وحاولت السيدة مرة أخرى أن تؤكد لي أن هذا حديث خاص بي ، وأنها لم ترو هذا لأحد ..

ولم أصدقها ، فلا يوجد حديث خاص عند المرأة ، وليست هناك خصوصيات ، فكل سر عند المرأة موجود عند صديقاتها ، وكل ما تخفيه المرأة عن الرجل تكشفه لألف امرأة أخرى . وعذرت زوجها وتمنيت ألا تكون لها مرحلة عشرينية أخرى ..

وعرفت من بعض الأصدقاء أن هذه السيدة ترددت عليهم أيضاً ، وأنهم استمعوا إلى نفس القصة .. وعرفت أن الزوج رجل مهذب ومثقف ، وأنه نموذجي ، وأنه بطل قصة حب عنيفة شريفة .. وأنه يستحق الرثاء .. أما أنا فأعتقد أنه يستحق الإعجاب .. فقد قرر أن يدفن أعصابه ليعيش مع أولاده السبعة !!



جمال الفن

بطلة فيلم « صوت الموسيقى » ليست جميلة أبداً .. بل يمكن أن نقول إنها دميعة . صحيح هي شقراء رشيقة ذهبية الشعور زرقاء العينين نحاسية البشرة ، « معبزية الساقين » ولكن صوتها من السماء !

وأمام هذا الصوت ، وتحت رحمة موسيقاه ، وفي جمال ابتسامتها وطيبة قلبها ، وهي تقوم بدور المربية الراهبة ، بعد أن دهمها الحب ،

لا يسعك إلا أن تحنى قلبك في صدرك ، وتنسى أنها ليست جميلة !
إن أم كلثوم نفسها ليست جميلة ، ولكن من الذى يستطيع أن

يرى ملامح أم كلثوم وهي تغنى . إن أحداً لا يراها بوضوح فصولها يخلق لك سحراً وردية وبين لحظة وأخرى تنزل على خدك دميعة ..

إن عبد الحليم حافظ ليس جميلاً : صوته فقط . إن يدى عبد الحليم وأصابعه أشبه بأيدي الذين يشتغلون في قطع الحجارة .

إن فيروز ليست جميلة .. إنها نحيفة جافة ، وأنفها أدق من صوتها ، ولكن صوتها يجعل للدنيا لمس الحرير ولمعان الفضة !

إن محمد قنديل يصلح أن يكون جزاراً بكرشه وذراعيه الغليظتين . ولكن صوته ناعم رقيق مليء بالأسى .

ومحمد عبد المطلب ابن البلد بخاجبيه الجامدين ووجهه الخالى من أى تعبير لا يلهمك بأنه أحسن مطرب شعبي ..

بل إن هناك ممثلات عالميات لسن جميلات . ولكن الإطار الجميل والمعاني الجميلة هي التى تجعلنا ننسى هذا الوجه أو هذا الجسم الذى

هو وسيلة لنقل هذه المعاني . صوفيا لورين مثلا : فيها كبير جداً وطويلة جداً وطريقتهما في الكلام « بلدى » جداً إذا استمعت إليها باللغة الإيطالية .

كلوديا كاردينالى ليست جميلة . أذناها كبيرتان : وأنفها مربع وشعرها مستعار ..

سليمانا مانجانو بطلة فيلم « مرارة الأرض » . صوتها مثل صوت كتكوت خرج من البيضه فوراً . ولذلك فانت لا تسمع صوتها فى السينما وإنما صوت واحدة أخرى .. لقد أصبح الصوت كالباروكة يمكن أن يستعيره أى إنسان .

أنا مانيانى أعظم ممثلة إيطالية على الإطلاق .. عيناها تشبهان عيون بنات الصين ، وصوتها يشبه صوت واحدة أدمنت شرب الشيشة ، ولكن فى الإطار الفنى الجميل ، وفى الجوار المشحون بالمعاني تنسى الفم الكبير والقوام القصير .. وتنسى حتى أنفسنا !



طفل يحبو فى عقولنا

فى داخل كل رجل يوجد طفل . والمرأة هى أول من يهتدى إلى وجود هذا الطفل . وتحرص فى نفس الوقت على أن يظل الرجل طفلاً . فهى تحب أن يبقى رجلاً لحمايتها . وأن يبقى طفلاً ليظل فى حاجة إليها . وكل إنسان يحاول أن يتستر على هذا الطفل . ولكن مخاوفنا وآلامنا هى التى تكشفنا فتجعلنا أطفالاً صغاراً . ونتصرف كأننا صغار ونعزو كل أخطائنا إلى الطفل الذى يحبو فى عقولنا أو فى قلوبنا ! ولكن حياتنا العملية تحتم علينا أن نكون فى غاية الرجولة والحشونة ..

وعلم النفس ينصحنا بأن نصارح أنفسنا أولاً بأول . وهذه المصارحة هى التى تجعلنا نتحمل أخطاء هذا الطفل . وتجعلنا نتغلب على مخاوفه . وتجعلنا نحول دموعه إلى مجرد آهات . ونحول آهاته إلى سخرية .

ولكن ليس كل الناس قادرين على هذه المصارحة . وليس كل الناس قادرين بعد ذلك على أن يتخلصوا من آلام الطفولة . وقد حاولت كثيراً . ولكنى لم أفلح . وظللت طفلاً أمام حوادث كثيرة مؤلمة فى طفولتى . لم أفلح ويبدو أنى لن أستطيع .

فمثلاً من عشرين عاماً كنت أتفرج فى « مدينة الملاهى » على الحصان الذى تركبه فارسه إنجليزية ثم تقفز به فى حوض ماء من ارتفاع كبير . ولسبب لا أعرفه الآن تطلعت إلى الحصان وأحسست أنه حيوان نبيل : فيه كبرياء . وفيه رجولة . وفيه أصالة . ولم يعجبني

أبدأ أن تركبه هذه الفارسة . ثم تقفز به من الماء ، وتظل على ظهر الحصان طول الوقت . وقبل أن يصل الحصان إلى حوض الماء تقفز هي بعيداً عن الحوض ويصفق الناس للفارسة . أما الحصان الذي يسقط في الحوض . فينهض واقفاً . ويهرب الناس حتى لا يبللهم بالماء . وفي ذلك اليوم ملأت عيني من الحصان . ورأيت الفارسة تركبه وتصعد به في مواجهة الضوء تماماً كما فعل الإسكندر عندما ركب حصانه في مواجهة الشمس . ثم قفز الحصان في حوض الماء وقفزت هي بعيداً عن الحوض . ولم ينهض الحصان . لقد مات !

وعندما أحس الناس فعلاً بالمجهود الهائل الذي يقوم به هذا الحيوان وأحس الناس أنهم ظلموه . وأنهم كانوا يصفقون للفارسة وينسون الحصان كأنهم يصفقون للأقمار الصناعية . وينسون الصواريخ الملتبسة التي ترفع الأقمار إلى مداراتها البعيدة .

أما أنا فقد أحسست أن الحصان لم يمت . إنه انتحر . أصبح شعور الناس بالذنب أعمق .. ولم أنم تلك الليلة إلا ونامت دموعي على خدي .

وأمس رأيت حصاناً تحت عجلات سيارة ، وانفجر الطفل باكياً في عيني . ولم يفلح عقل الرجل ولا نصائح علم النفس أن تعيدني إلى رجولي .

ويظهر أن علم النفس عاجز عن إسكات الأطفال الذين يعيشون في أعماقنا !

حمامة الإمبراطورة

من المناظر المألوفة في مواكب أباطرة الرومان أن نجد خمسين حمامة وأحياناً مائة حمامة . وهذه « الحمامات » خاصة بصاحبة الجلالة الإمبراطورية شخصياً . فهي تستخدم ألبانها في الاستحمام . ولبن الحمامة يجعل البشرة ناعمة . وجلالة الإمبراطورة حريصة على أن يكون اللبن طازجاً ، وعلى ألا يكون مخلوطاً بالماء . وعلى أن يكون بعيداً عن أيدي المتنافسات في غرام الإمبراطور . فلا يضعن في اللبن مادة سامة ! والملكة بلفيس كانت تستخدم لبن الحمامة أيضاً . وغيرها من النساء كن يستخدمن لبن الحمامة وأحياناً لبن الأشجار في دهن الوجه والجسم .

ولم تتغير المرأة الملكة . أو المرأة العادية . من أقدم العصور حتى الآن .. وربما كان التغير الوحيد الذي حدث هو في صناعة الألبان فقط .

فقد اختفت الحمامة ، وظهرت بدلا منها المصانع ، واختفت طشوت اللبن وظهرت الزجاجات الصغيرة الأنيقة ، وأقلام الشفاه الذهبية وعلب البودرة الفاخرة .

ولإذا كان الجمال هبة من عند الله ، فإن المرأة تحرص على أن تبدو موهوبة ، وذلك بأن ترسم جمالها .. تصنع جمالها . فإذا كان الله قد أعطاها وجهاً ، فلأنها قادرة على أن يكون لها وجه آخر وكلما تقدمت المرأة في السن ، صرخت الألوان في وجهها ، وكأن هذه الألوان الصارخة هي إعادة لكتابة شهادة ميلادها وحذف لأرقام السنين !

والجمال هو مملكة المرأة . وكل امرأة تحرص على أن تضع التاج على رأسها ، وعلى أن تكتب خطاب العرش بالأحمر . وتحففه بالأبيض وتوقعه بالأسود . كل يوم .. كل يوم .. فأى وقت عند المرأة هو وقت للتجميل ، ولو حكموا عليها بالإعدام وسألوها قبل أن تموت ما الذى تريده لطلبت قلم شفايف . إن كليو بطرة نفسها قد وضعت الأبيض والأحمر والأسود قبل أن تموت !

وإذا كان الجمال مملكة المرأة ، فإن هذه المملكة لها ملوك حقيقيون هم ملوك الأزياء والموضة والجمال . وهؤلاء الملوك سفارات فى كل مكان : فصالونات الحلاقة ، ومحلات الأزياء ، ومعاهد التجميل هى سفارتهم . وهذه السفارات تقبض آلاف الملايين من الجنيهات كل عام . هذه الملايين يدفعها الرجل دون أن يدرى .. أو وهو يدرى !



أنا :

إحدى صوري

تعال أي يوم وستجدني سعيداً جداً بلقائك . مع أنني لا أعرفك
وليس هناك مبرر لسعادتي بك .

وهنا أتوقف . ما الذي يجعلني أبدو هكذا سعيداً ؟ لا سبب !
ما الذي يجعلني أرحب بك مهما كنت مشغولاً ؟ لا سبب . ولكنني
أقوم بدور الرجل المهذب . أقوم بدور الذي يخفى متاعبه ومشاغله .
ولأنني أقوم بدور الرجل الذي يرى أن همومه تخصه هو ، وأنها لا تخص
الآخرين .. وفي نفس الوقت أقوم بالمساهمة في الصورة الجميلة الكاذبة
وهي أننا معشر الكتاب من طراز آخر من الناس .. نحن فوق .. بلا
متاعب ولا مشاكل ولا هموم ولا قلق . وليست هذه حقيقتي !
ولا حقيقة أي إنسان تراه أو تقابله في البيت أو في الشارع . وإنما
هي صورة أنيقة لأعماق . إنها صورتي وهذه الصورة قد أفرزت ألوانها
من داخلي ، وعلقتها على كفتي ، وتواريت وراءها . فأنت لا تراني .
ولأنما أنت ترى إحدى صوري .. أجمل صوري !

فأنا لست سعيداً .. ولكن ظاهري السعادة .. أو « متظاهر »
بالسعادة ! وكل إنسان كذلك .. أنت في أي وقت لست إلا صورة
من صورك ، لوحة من لوحاتك .

ونحن نطلب من الناس أن يكونوا صوراً لأنفسهم .. وألا يكونوا
على حقيقتهم ، لأن حقيقتهم تضايقنا ، ولا تهمننا .

مثلاً .. الكمساري .. في الأتوبيس أو في المترو .. نحن جميعاً
نطلب منه أن يكون مبتسماً دائماً . إذا أخذ ثمن التذكرة يكون رقيقاً ،

ولابد أن يشكرنا على ذلك ، ولابد أن تكون معه فكرة ، ولابد أن يعرف المحطة التي سوف نترز عندها . مع أنني لست الراكب الوحيد من أول الخط ، ولا الراكب الوحيد طول النهار . ولا طول الشهر ونحن ننسى أن هذا الكمسارى لا يختلف عن الركاب إلا فى شىء واحد هو أن المواصلات ليست مشكلة بالنسبة له . ولكنه أب أو زوج ، وله مشاكل أى أب وأى زوج . وله هموم ومشاكل أى أب وأى زوج . له همومه وله متاعب ومن ضمن آماله فى الحياة أن يتحول من كمسارى إلى راكب .. وأن يركب هو أيضاً صاروخاً أسرع من الأتوبيس . هذا الصاروخ فى خياله .. وهذا الصاروخ يحلم بأن ينقله فى يوم من الأيام إلى محطة اختيارية اسمها : السر ...

وأنت تقوم بدور الأب .. وتقوم بدور الصديق .. وتقوم بدور الموظف المطيع ، وبدور الرئيس الصبور .. وبدور الطبيب الذى يملك المعجزات ..

ونحن فى الحقيقة نعرض على الناس « صورنا » . . نعرض على الناس أحسن ما عندنا .. والناس يعرضون علينا صورهم ولوحاتهم التى رسموها سرّاً .. فحياتنا هى هذا العرض الحى ..

نحن الفنانون واللوحات أيضاً .. ونحن المؤلفون والممثلون والمخرجون أيضاً ومن المؤكد أن أى إنسان عندما يتهم إنساناً بالكذب أو بالنفاق أو بالشر لا يتهمه وإنما هو فجأة قد رأى الصورة الحقيقية التى يخفيها وراء هذا العمل الفنى الزائف !

هذه الحاسة السادسة !

كل واحد يقول لك : أنا إحساسى كده .. معناه أنه قد عطل حواسه الخمس . وأنه يعتمد على حاسته السادسة . أى يعتمد على شىء خاص به . يعتمد على مصدر للمعلومات لا تعرفه . وهو شخصياً لا يعرفه . الذين يعطلون حواسهم الخمس هم أصحاب العواطف الكبرى : الحب الكبير ، أو الكراهية العظيمة .

فالعواطف الكبرى مثل العواصف يواجهها الناس بإقفال النوافذ والأبواب وأزرار الملابس . من وراء هذه المنافذ المقفلة ينظر الناس إلى العالم الخارجى بعيون أخرى ، ويسمعون بأذان أخرى .. أى بهذه الحاسة السادسة ..

والمرأة من أكثر الناس اعتماداً على حاستها السادسة ، لأن تجاربها ليست كثيرة . وإيمانها بالعقل ليس كبيراً . فهي تعتمد على عواطفها ، وعواطفها تهز الدنيا أمامها ، فلا تعتمد كثيراً على ما تراه أو تسمعه وإنما تعتمد على هذه الحاسة السادسة . ومن المؤكد علمياً أن إدراك المرأة أصدق من إدراك الرجل ، وإحساسها بالأحداث القادمة أوضح من إحساس الرجل . وهناك ألوف التجارب فى حياتنا العادية تؤكد صدق فراسة المرأة .

ومنها السيدة بنيلوب إحدى شخصيات الأوديسة الإغريقية ..

لقد سافر زوجها إلى القتال . ولم تعد تسمع عنه شيئاً . وكان من السهل أن تؤمن أنه مات . أن تختار أحداً من عشرات الشبان الأغنياء الذين يريدون الزواج منها ، ولكنها آمنت إيماناً قاطعاً بأنه لم يمُت ، وبأنه سوف يعود ، وأن هؤلاء الفرسان سوف . يموتون بضربات سيفه عندما يعود ..

وانتظرت عشرين عاماً . إيمانها لم يتغير . ولكن على أى أساس أقامت هذا الإيمان ؟ لا يمكن أن يكون ذلك مبنياً على المشاهدة أو الاستنتاج مما تسمعه من أخبار الذين ذهبوا ولم يعودوا .. لأنها اعتمدت على حاستها السادسة .

وكلما أصبح الإنسان أكثر صفاء . وكلما كان الإنسان أكثر إيماناً بشيء ، وكانت حاسته السادسة أقوى .. كان أقدر على أن يرى بغير عينيه ، وعلى أن يسمع بغير أذنيه ، وأن يدرك بغير عقله .. وهذا هو الخلاف الجوهرى بين الرجال والنساء وبين الكافرين والمؤمنين : هذه الحاسة التى وراء كل الحواس الأخرى !



الحلّاعة شىء آخر

لا أعتراض على الحرية التى تمارسها طالبات الجامعة فى اختيار الألوان والتفصيلات المختلفة للفساتين ، ولكنى أعترض جداً على أن تكون الفساتين خليعة . . على أن يكون فوق الركبة بشبر . . وبشبرين عندما تجلس . وبثلاثة أشبار عندما تلتقط كتاباً يسقط على الأرض — عادة — عندما يكون هناك طابور من الطلبة جالساً على الحشيش !

أعترض وأكرر اعتراضى . . فهذا شىء لا يليق بالجامعة : لا أقصد بمباني الجامعة . ولكن بروح الجامعة : وهى طلب العلم والبحث والتعب والبساطة والزهد فى كثير من المظاهر . وإذا لم تكن الطالبات زاهدات ، فيجب ألا يدفعن الطلبة بعيداً عن الزهد والانشغال بالدراسة .

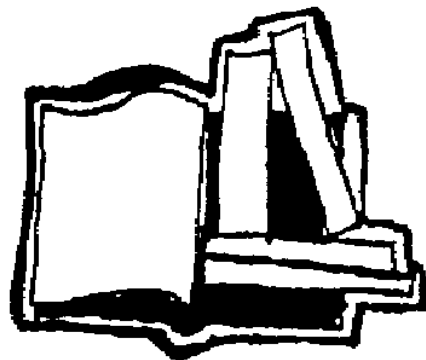
لست متزمتاً ولكن فى نفس الوقت لست مشجعاً للميوعة ، ولا مشجعاً لأن تتحول الطالبات إلى « شماعات » أزياء . ولا أن تتحول قاعة الجامعة إلى عرض ولا أن تتحول النظرات من الكتب إلى السيقان العارية والصدور العارية والوجوه المغطاة بأكداس من الأبيض والأحمر والأسود . .

ومنذ أشهر ذهبت إلى جامعة برلين ، فأحسست أنها جامعة شرقية أقصد جامعة « محافظة » المظهر . فالأزياء طويلة معقولة ، والأكمام طويلة ، والفتيات بسيطات ، فكل واحدة ، قد تأبطت عدداً من الكتب . وكل شىء يدل على أن الجو جاد ، وأن الروح جادة ، وأن هؤلاء الفتيات يطلبن العلم ، ويحرصن على طلب العلم ، لأن العلم حياة ،

والذى لا علم له لا حياة له . فالعلم ضرورة . والعمل ضرورة .
ولذلك أنا أرحب بالدعوة التى تتزعمها لجنة النشاط الاجتماعى
بكلية زراعة القاهرة . فقد تلقيت منها برنامجاً لمناقشة توحيد الزى
الجامعى . « بقصد تبسيط الزى بما يتلاءم مع الحياة العلمية
والدراسية . ومحاربة الإسراف وتخفيف الأعباء الاقتصادية للأسرة .
والقضاء على الأزياء غير المناسبة لحرمة الجامعة ، وإذابة الفوارق
الشكلية بين الطلاب » .

أما فيما يتعلق بالطلاب فلم أجد لا فى جامعة روما ولا فى جامعة
برلين البنطلونات المخلوطة الخانقة . ولم أجد الشعور المسترسلة
الخنفسائية . لقد كان عدد الخفافس قليلاً ولا يلقى إلا الاحتقار
والازدراء .

ويجب أن نتساءل الآن جميعاً : ما هو المطلوب من الطالب
والأستاذ وأولياء أمور الطلبة . ومن كل مواطن فى الجامعة أو خارجها ؟
المطلوب بوضوح وبإصرار : المزيد من الجد . ومن الجدية . ومن
العمل ، ومن المسؤولية والشجاعة فى مواجهة الواقع .. وأن نتجاوز
مرحلة الشعور بالذنب العميق والندم .. وأن نعمل ، وأن نعمل ،
وأن لا يشغلنا عن العمل شيء !



أداء الواجب كمال أنشده

لا نحن مرفهون .. ولا نحن أولاد ذوات .. ولا ولدنا والملاعن
الدهية في أفواه الخدم والحشم حولنا .. وإنما أناس عاديون .. ومن
بيئة تعانق فيها الشرف والفقر ، في أعماق الريف المصري !!

فإذا ما طلبت من الذي يصنع الحذاء ألا ينسى فيه المسامير ..
وإذا طلبت من الذي يرصف الشارع ألا ينسى سد النقر .. ومن
الذي يأتي بالماء ألا ينسى قطعة الثلج .. ومن الذي يبيع البرتقال
ألا يغش .. ومن الذي يكنس الشارع ألا يترك فيه الزبالة ، ومن
الذي يصنع الكبريت ألا ينسى رؤوس الكبريت . فلإني هنا لا أشكو
أحداً إلى أحد .. وإنما نحن نتشاكى .. نشكو أنفسنا إلى أنفسنا ..

ولست مترفاً ولا باحثاً عن الكماليات .. وإنما أطلب الكمال ..
أطلب من الذي يعمل أن يتقن عمله .. فهذه «النقر» في الشوارع
تهم من يمشى على قدميه ، لكنها لا تهم من يركب السيارة .
ومعظم الناس مشاة .. غير أن أداء الواجب على «أكمل» وجه هو
الذي يهمي .. فالذي يرصف الشارع يجب أن يتقن الرصف ..
والذي يكنسه يجب أن يحسن الكنس .. والذي يمشى في الشارع
يجب أن يراعى علامات المرور .. والذي يصنع الخبز ، والذي يصنع
الفول .. وكل من يعمل شيئاً ، يجب أن يتقنه . إنها ليست الكماليات
هي التي تهمني .. وإنما الكمال هو الذي أنشده ..

وإذا جاءني كوب الماء ليس نظيفاً فلإني أطلب من الجرسون أن

يأتى به نظيفاً.. لأنه من الضروري أن يؤدي ما هو واجب ، وما هو محصى .
 وفى نفس الوقت أعلم علم اليقين أن لنا إخوة وأبناء يعيشون على
 الجبهة لا يجدون الماء المثلج الذى نجده ، ولا الظل الذى ننام فيه ..
 ولا هذه المسافات الواسعة التى نرتع فيها من شارع إلى شارع ومن
 مدينة إلى مدينة .. إن هؤلاء الجنود الأبطال هم الذين ارتضوا
 الشمس لننعم نحن بالظل .. وهم الذين ارتضوا الحنّادق لننعم نحن
 بالنسيم العليل فى بيوتنا .. وهم لا يجدون الماء الذى نجده ..
 ولا أكواب الزجاج التى نشرب فيها ..

إننى أعلم هذه التضحية العظيمة التى يبذلها طواعية وعن طيب
 خاطر إخوان لنا أعزاء علينا ..

وعلى الرغم من ذلك فإننا جميعاً يجب أن نتمسك بكل ما هو واجب
 وبكل ما هو طريق إلى كمال العمل وكمال الإنتاج .. تماماً كما أن
 هؤلاء الجنود قد تمسكوا بأداء الواجب على أكمل وجه .

وإذا نحن جميعاً حرصنا على أداء الواجب .. مدنيين وعسكريين ..
 فى الصغيرة والكبيرة ، على كل المستويات ، فلا خوف علينا ..
 ولا خوف على قضيتنا !

نكتة قديمة

هذه النكتة لن تتكرر .. فقد كانت أم العريس عندما تذهب لخطبة عروس لابنها تتحسس العروس بيديها ، وفي أماكن مختلفة من جسمها عيني عينك . وكانت أم العروس ترى أن هذا طبيعي . وكانت العروس تتوقع هذا من حمايتها المقبلة .. فكانت الحماة المقبلة تحتضن العروس كما يحتضن رجال الشرطة بعض المشبوهين لكي يكتشفوا إن كانوا يحملون سلاحاً تحت ملابسهم .. وكذلك الحماة تبحث عن هذه الأسلحة التي تخفيها الأنثى تحت ملابسها ..

فتتأكد من وجود صدر ممتلئ أو فارغ ، تتأكد من وجود أرداف طبيعية ! فالحماة كتاجر جاء يشتري لحماً .. وتاجر اللحم يقلب « الذبيحة » ويعرف أين العظم وأين اللحم والشحم ..

وأكثر من هذا تفعله أم العريس ، فإنها تفتح حقيبتها ، وتعطي العروس قطعة من سكر النبات أو عود قصب لتتأكد من أن أسنان العروس سليمة ، وأنها لا تضع طاقماً صناعياً .. ثم تحاول أن تقترب منها أكثر وأكثر لتتأكد إن كان لفمها رائحة كريهة .. وفي هذه الأثناء تشد شعرها لتعرف إن كان طبيعياً أو باروكة ..

هذه النكت التي كانت تؤذيها أم العريس بحسن نية ، انتهى عهدا ! انتهى ولن يعود . فلم يعد هناك شيء طبيعي ، لم يعد هناك سلاح واحد من أسلحة المرأة ليس مصنوعاً عند الحلاق أو عند الترزي أو عند شركات الكاوتش أو البلاستيك !

انتهى عصر التقلب في الذبيحة قبل زفافها إلى العريس . انتهى !

فقد تولت شركات التجميل سد الفراغ بين الأسنان ، ونفخ الصدور والأرداف ، وتعلية الكعوب . وإطالة الشعور والرموش والأظافر ووضع ركبتين من النايلون الناعم لتخفي عيوب الركبتين الطبيعيتين ..

ولن تجرؤ حماة في المستقبل على تقديم سكر النبات إلى أية عروس ولا حتى تقديم أصابع الملبن . لن تجرؤ . فقد أصبح طبيعياً . أصبح من الجمال أن يكون جمال المرأة مرسوماً مدروساً صناعياً . هذه حقيقة نهائية .

ولن تجرؤ أم العريس على أن تفتح فيها بعد اليوم حتى لا يقع طاقم الأسنان من بين شفتيها ، ولن تصطدم بالعروس لأنها لن تحس بشيء .. فالكأوتش عندها لا يحس بالكأوتش عند غيرها .. انتهى عصر الجمال الصادق .. ودخلنا في عصر الجمال الكاذب ، عصر التكنولوجيا فاستريحى يا أم أى عريس !



صيد الثعابين كارثة

لو كنت من أبناء الهند لذهبت إلى مارلين ديتريتش هذه وأطلقت عليها الرصاص وضميرى مستريح . فمارلين ديتريتش مسئولة عن بعض الكوارث التي أصابت الهند في السنوات الأخيرة : فهي قد ظهرت في أحد أفلامها في يدها حقيبة من الجلد .

ولما سئلت في الفيلم من أين اشتريت هذه الحقيبة قالت : إنها هدية من صديق مليونير . ولما سئلت : وأين يسكن هذا المليونير ؟

قالت : إنه مليونير هندي ! ولما سئلت عن نوع الجلد الذي صنعت منه هذه الحقيبة ، قالت : إنها من جلد الثعابين !

ومن أربعين سنة أصبحت جلود الثعابين مطلوبة في أوروبا وفي أمريكا .

وأصبحت الحقائق المصنوعة من جلد الثعابين حلماً من أحلام كل سيدة غنية ، أو تريد أن تبدو غنية . وأصبحت الأحذية من جلد الثعابين موضة ، أحذية السيدات والرجال المصنوعة من جلد الثعابين موضة أيضاً ، ولا تزال موضة حتى الآن ..

وكان من نتيجة رواج صناعة الجلود الثعبانية أن تكونت شركات عالمية لصناعة جلد الثعابين . وشركات أخرى لصيد الثعابين الهندية بصفة خاصة ، وتكونت مزارع لتربية الثعابين الهندية ، وتحول عدد كبير من المواطنين في الهند إلى صيادين للثعابين . وأخذت الثعابين الهندية تتناقص مليوناً بعد مليون ، حتى لقد أصبح منظر الحاي

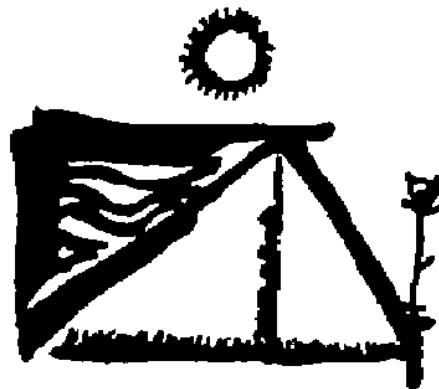
الهندي في شوارع عاصمة نيودلهي ، شيئاً غريباً يتفرج عليه الهنود
والسائحون الأجانب !

ولما نقص عدد الثعابين زاد عدد الفئران ، فالثعابين هي التي
كانت تلتهم الفئران . ولما زاد عدد الفئران تناقص محصول القمح ،
وتناقصت كميات القمح الموجودة في موانئ الهند .

لقد نشرت الصحف أخيراً أن الفئران في الهند لو وزعت على الشعب
كله (٥٠٠ مليون نسمة) لكان نصيب كل مواطن هندي ، بما ذلك
الأجنة في بطون أمهاتهم ، خمسة فئران . ففي الهند وحدها ثلاثة
آلاف مليون فأر . والصحف تقول أيضاً إن القمح الذي تلتهمه
الفئران كل سنة أكثر بكثير من المعونة الأمريكية !

وهناك طريقتان للتخلص من هذه الكارثة : الأولى أن يكف
الهنود عن صيد الثعابين ، بل أن يتعلموا تربيته .. والطريقة الثانية
هي أن يفكر الهنود في أكل اللحوم . فالهنود لا يأكلون اللحوم مطلقاً .
وإذا فكروا في أكل اللحوم فليبدءوا بالفئران ... !

ولو حدثت هذه الكارثة في الصين ، لأكل كل أبناء الصين
الفئران ، ومارلين ديتريتش .. ثم امتنعوا عن أكل القمح !



عصابة خفيفة الدم

مهما كانت قدرتك على الملاحظة فأنت لا تستطيع أن تلاحظ كل شيء .. ولا أن تلاحظ نفسك وأنت تلاحظ الآخرين !

هذا المعنى هو الذى جعل أحد رجال المباحث المشهورين جداً فى إنجلترا يقع ضحية عصابة خطيرة . ولكنها خفيفة الدم . فهذه العصابة الدولية عبارة عن أربعين رجلاً وامرأة .. يقومون برحلة واحدة فى سيارة واحدة ، تحت اسم شركة سياحية معروفة ، ثم يتزلون فى فندق واحد ، ويسرقون هذا الفندق . ولم يستطع البوليس أن يهتدى إلى اللصوص . ولم يتصور أحد أن هؤلاء التزلاء الأربعين هم عصابة واحدة .

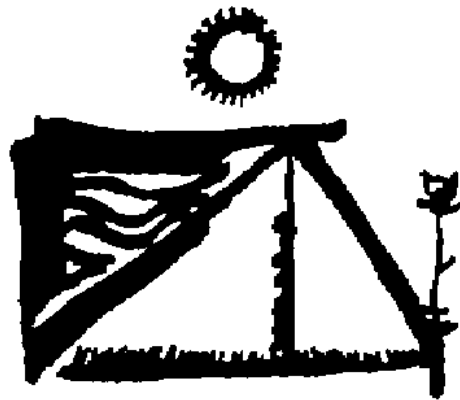
وتكررت حوادث السرقة فى أوروبا وأمريكا .

فى أول ليلة يوزع اللصوص أنفسهم حسب خطة موضوعة .. بعضهم يذهب إلى المطعم ؛ وبعضهم يذهب إلى البار ، والباقيون يفتشون غرف التزلاء الآخرين ، وثلاثة منهم يبحثون عن أموال الفندق . وبعد يوم أو يومين تختفى كل أموال ومجوهرات التزلاء وخزانة الفندق . وتنبه أحد رجال المباحث إلى هذه العصابة . وبدأ يساوره الشك عندما بدأ ينظر إليهم بدقة ، فقد لاحظ أن ملابسهم مختلفة . ولا يوجد اثنان من الرجال أو النساء يتشابهان فى شيء . وهذا غير طبيعى ، فلا بد أن يتشابه اثنان أو ثلاثة فى الزى . ولاحظ أن أحاديث الأزواج فى غاية المرح والسعادة . وكتب رجل المباحث فى مذكراته أن هذا غير طبيعى

ولاحظ أنهم جميعاً يدخنون ويشربون .. وهذا غير طبيعي .. وقرر
فيما بينه وبين نفسه أن هذه هي العصابة

وعاد رجل المباحث إلى غرفته ليجد رجال العصابة قد انتظروه
تحت السرير. أما لماذا شكوا في أمره . فقد لاحظوا عند تفتيش غرفته ،
أنه لا يوجد بها ورقة ولا قلم ولا شيء يدل على شخصيته ؛ واستبعدوا
أن يكون لصاً مثلهم ؛ لأن اللص في حاجة إلى أوراق وأقلام وملابس
تحقق حقيقة شخصيته . ولكن هذا الرجل لأنه مطمئن إلى طبيعة عمله
ليس في حاجة إلى دليل . ولأنه حريص فهو يخشى أن يقع شيء
في أيدي اللصوص !

وربطوا رجل المباحث في السرير ، وهربوا ..
لقد فاته أن يلاحظ أنهم كانوا يلاحظونه أيضاً !



سيف الرشيد

خنقة عمرها ١٧٠ سنة بين رجال القانون الألمان ورجال الآثار الخمسين .. وسبب الخنقة هو هذا السيف الذهبي الذي بعث به الخليفة العباسي هارون الرشيد إلى الملك شارلمان منذ نحو ١١٥٠ سنة .

وكثيراً ما أرسل الخليفة العباسي هداياه إلى الملوك والأمراء في العالم وكان يريد بذلك أن يؤكد صداقته ومودته ، وأن يبين في نفس الوقت أن العرب على درجة كبيرة من الحضارة .. وقد كان العرب متحضرين .. بل أكر الشعوب حضارة وتقدماً في الآداب والفنون والعلوم المعروفة في ذلك الوقت .

ويقال إن هارون الرشيد قد أرسل إلى « صديقه » الملك شارلمان أعظم ملوك أوروبا : وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة هدية ضخمة : فيل يركبه أحد الرجال ، وفي يد هذا الرجل ساعة مائية معقدة التركيب ، وسيف من الذهب . وظل هذا السيف في مكانه في كنيسة مدينة آخن بألمانيا أكثر من تسعة قرون . وبعد ذلك بدأ السيف الذهبي ينتقل مع الملوك من مدينة إلى مدينة ، ومن كنيسة إلى كنيسة ، حتى استولى عليه النمساويون . ووضعوه في أحد متاحف فيينا . واستولوا معه أيضاً على كيس من الذهب ، ثم على نسخة مكتوبة باليد من الأناجيل الأربعة .. وهذه النسخة قد أقسم عليها الإمبراطور شارلمان يوم تنويجه .

وعندما أصبح هتلر مستشاراً لألمانيا طالب بالسيف الذهبي .

واستولى هتلر على النمسا . وأعاد السيف الذهبي إلى المتاحف الألمانية .
وأحس المؤرخون الألمان أن هذا السيف يستحق البحث والدراسة من
جديد . ودرسوا السيف وحلّلوه ورسموه . وحققوا الحرافات الكثيرة
التي تدور حول هذا السيف . والذي يقال إن لمسه يشفي من الروماتيزم
وبريقة يشفي من الرمد . وإن المرأة العاقر إذا وضعتة على صدرها
ولدت أطفالاً ذكوراً .

وبعد الحرب العالمية .. أعيد السيف إلى متاحف النمسا .

وسيف هارون الرشيد موجود الآن في متحف مدينة فيينا .
ولكن أهل مدينة آخن الألمانية يطالبون بالسيف .

فقد ظهر بحث ممتاز لحام ألماني اسمه « فريد ريش رامويه » يؤكد
بالدليل القاطع التاريخي والقانوني أن سيف هارون الرشيد يجب
أن يعود إلى الألمان .. وقد تمضى ١٧٠ سنة أخرى قبل أن يتفق العلماء
والمؤرخون والساسة على شيء !

وأقترح أن تبعث الحكومة النمساوية بهذا السيف إلى بغداد ..
لأنه من المؤكد سيف عراقي . وبذلك تكون هذه « سابقة » طيبة
لإعادة السيوف والذهب إلى أصحابها الأصليين .. وبذلك نساهم في
تحقيق السلام بين النساويين والألمان اليوم وغداً !

المحبة الإنسانية ممكنة

آثار أبو سمبل هذه من أمجاد مصر الفرعونية .. ومن أهم معالم
عصور رمسيس الثانى . ذلك الفرعون الذى حكم ٦٧ عاماً . وعاش
أكثر من مائة سنة . وترك وراءه مائة من الأبناء وخمسا من
الزوجات وعشرات من العشيقات .. وترك وراءه تاريخاً طويلاً ملحاً
ثرثراً لأعماله البطولية . فالذى سجله على الصخور لانتصاره فى معركة
قادش إذا عرفناه على الورق يملأ صفحات كتب ضخمة .

ولكن رمسيس الثانى كان حاكماً عظيماً . وآثار أبو سمبل هذه
من أروع أعماله الفنية والتاريخية الباقية . وإذا كان الصخر قد
استطاع أن يبقيا حتى اليوم . فإن العلم الحديث وتعاون الشعوب جميعاً
قد أضافا عمراً جديداً . فقد نقلها من تحت إلى فوق .. فرفعها عن
مستوى مياه النيل .. وانتشلها من الغرق الأكيد والنسيان السريع ..

وإذا كان رمسيس الثانى قد سجل تاريخه على هذه الأحجار
بأصابع الفنانين والمهندسين المهرة . فإن الإنسانية الحديثة قد سجلت
لنفسها معنى جديداً .. معنى نتمنى أن نراه بيننا فى كل المجالات
الأخرى .. فقد سجلت الإنسانية معنى التعاون من أجل الفن
والحقيقة التاريخية المشتركة .. فإن شعوب العالم التى أنقذت هذه
الآثار ، قد أنقذت سمعة الإنسانية نفسها .. فنحن لم نعد نعرف
إلا التعاون من أجل الدم .. ولم نعرف إلا الاتفاق على الورق

حتى لا يقع دم .. ولكن الاتفاق المخلص والتعاون الصادق ، قد انفرد
هذا الحدث التاريخي بالجليل بتجسيده ..

فالأصابع التي رفعت هذه الكتل الهائلة من الوثائق التاريخية هي
أصابع العلم والفن وروح الأخوة ، فنحن - إذن - لم نرفع مصوراً ..
إننا رفعنا شعاراً جديداً حقيقياً وقوراً حكماً : هو أن المحبة الإنسانية
ممكنة .. والتعاون العالمي ممكن .. وبلا دماء ولا نار !

ولاشك أن هذا الحدث « العلمي » يعد من مفاخر كل الهيئات
الألمانية والسويدية والفرنسية والإيطالية العالمية التي ساهمت فيه ، ومن
مفاخر وزارة الثقافة المصرية .. فقد كان الرأي العام في العالم كله
أن معبد أبو سمبل لن يكون آخر الآثار التي ابتلعها النيل أو البحر ..

وفي « قاموس الحضارة المصرية » الذي نشره جورج بوزنر -
سنة ١٩٦٢ - تحت كلمة « أبو سمبل » وهي أول كلمة في القاموس
نجد هذه العبارة : وهذا المعبد لا يمكن تحريكه من مكانه لأنه منحوت
في الجبل ولذلك فهو مهدد بخطر الغرق في الماء عندما يقام السد العالي !
وأنقذنا المعبد ..

وأضاف العلم الحديث إليه معجزة أخرى جنوب السد العالي !

أول طالب يزوغ في العالم

تحت هذا العنوان نشرت مجلة « التنبؤ » الإيطالية أن أحد العلماء قد عثر على مخطوطة قديمة ، هي عبارة عن رسالة بعث بها أب إلى ابنه والأب يعيب على الابن أنه لا يذهب إلى المدرسة بانتظام ، وأن أساتذته يشهدون بذلك ، وأنهم قد ظنوا في أول الأمر أنه مشغول بإعداد قصيدة طويلة ، ولكنهم لم يسمعوا من هذه القصيدة بيتاً واحداً .. ويقول الأب إنه صديق الأساتذة ، ولا يرى أن نظم الشعر يشغل الإنسان عن دراسة الرياضيات والموسيقى والفلسفة .. ولا ينسى الأب أن ينبه ابنه إلى أن الشعر - خصوصاً الشعر - لا يفتح بيتاً ولا يكسو عريانا ، ولا يطعم جائعاً ، وأن الذين اختاروا أن يضيعوا أوقاتهم في وزن الكلمات ، قد هربوا من العمل المفيد - إنهم اختاروا أن يكونوا فقراء شرفاء .. ولكنهم فقراء !

وهذا الخطاب يرجع إلى القرن الرابع الميلادي ...

ولكن الدكتور مصطفي العبادي اكتشف ورقة بردي ترجع إلى القرن الثاني الميلادي ، وعابها رسالة بعث بها طالب في جامعة الإسكندرية اسمه « نيل » إلى والده في مدينة البهنسا . وفي هذه الرسالة يشكو الطالب من ارتفاع أسعار المعيشة ومن أزمة المساكن ، وأنه لا يزوغ من الجامعة ، وإنما الدراسة الجامعية لا تعجبه . وأنه لا داعي لإتفاق الأموال الكثيرة في الدروس الخصوصية ، لأن الأساتذة الذين يدرسون في الجامعة هم أنفسهم الذين يدرسون له خارج الجامعة .. وأن مستواهم جميعاً ضعيف ..

وأنه يشكر والده على الأموال والأطعمة التي بعث بها ، وأنه يطلب المزيد ..

ويجئ في خطاب الطالب أيضاً أنه يعتذر عن كسر عربته التي يجرها حصانان ، لأنه قد اشترك في سباق مع زملائه — وهذا يدلنا على أن الطالب من أسرة غنية .

ومن الغريب أن هذا الطالب يملك أحد العبيد .. وأنه يدفع هذا العبد إلى العمل في بيوت الناس .. وأنه يتقاضى أجراً على ذلك ، وأنه ينفق هذا الأجر ، وأن العبد قد هرب .. وأنه ألقى القبض عليه ، ثم هرب من السجن .. ولم يشأ الطالب أن يطلب من والده أن يبعث له بعبد آخر ...

.. إنها هي إذن نفس المشكلة القديمة .. فنذ كانت هناك مدرسة ، كان هناك تزويج من المدرسة ومن الدراسة .. ومنذ كان هناك تلامذة كانت هناك الشكوى من المدرسين .. وكان الرسوب في الامتحان لا بسبب عدم المذاكرة ، ولكن بسبب ضعف مستوى الأساتذة وأزمة المساكن وإغراء اللعب !!

إنها المشكلة القديمة : حيث يكون هناك واجب ، يكون الإهمال في أداء الواجب ، والهرب من الواجب .. والهرب من حمل المسؤولية ... وهذا قديم .. أقدم من مخطوطة روما .. وأقدم من أوراق بردي الإسكندرية !

الحب الشريف أصله عربى

لو كان عندى قبعة لرفعتها تحية للشاعر الإنجليزي « روبرت جريفرز »
الذى كتب مقالا فى مجلة « لايف » يقول إن الشهامة والفروسية والشجاعة
والتضحية فى سبيل الحب ، كلها معان استوردتها أوروبا من العالم
العربى . وكلمة « الرومانتيكية » التى نستخدمها الآن للدلالة على
العفة والحب العنيف كانت لها معان أخرى فى أوروبا .

فكان من معانيها الحشونة والعنف وعدم الاهتمام بالمرأة وإنما الاهتمام
بالرجل .. أى اهتمام الرجل بالرجل !

والعرب هم الذين علموا أوروبا كيف تحب وتعف ، وكيف يهون
الموت من أجل المحبوبة . والعرب هم الذين ركبوا الخيول البيضاء ،
ووقفوا بها تحت شباك المحبوبة فى انتظار إشارة البدء فى الحرب بها
بعيدا عن الأب والأم والإخوة ، وعن المجتمع كله . ولاتزال الفتاة
فى الغرب وفى الشرق تحلم بذلك الفارس الأسمر الذى يمتطى حصانا
أبيض ويهرب بها متحمدا كل الناس من أجلها !

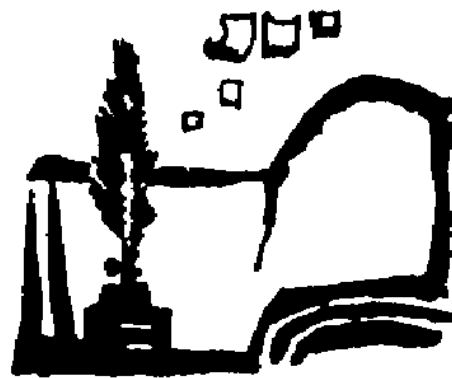
وحتى لو اتفق الأب والإخوة وكل الناس مع فتى الأحلام على
الزواج من محبوبته فإن المحبوبة تفضل أن تكون هناك عفة . أن تكون
هناك معركة لكى يتغلب عليها الفارس .

لكى يتعب ويتعذب من أجلها . والتعب والعذاب هما أغلى مهر
يقدمه محب لمحبوبته .

وليس حفلات الزفاف والموسيقى والأعيادة النارية والفستان الأبيض
إلا صورة مهذبة لما كان يحدث في حفلات الزفاف من قبل .. عندما
كانت هناك معارك بين القبائل ، وعندما كانت القبائل تدق طبول
الحرب : وما الفستان الأبيض إلا الحصان الأبيض ، وإلا السحاب
الأبيض ، وإلا أشعة القمر الحاملة !

ولا توجد فتاة تردد في أن تتمخطر في الزفة . ولكن معظم الرجال
يترددون .. وأنا لم أندعش عندما سمعت عن زوجة قررت ، بعد عشر
سنوات من زواجها ، أن تقيم لنفسها زفة في بيتها ، وأن ترغب زوجها
على أن يمشى إلى جوارها ، على الرغم من أنه لم يكن هناك أحد
غيرهما ..

إن المرأة ماتزال تحلم بالرجل الذي ينحطفها على حصان أبيض
أمام الناس ، وعلى الرغم من الناس !



عندما خدعته

جاءني يطلب عدداً من خطابات التوصية إلى أصدقائي في أستراليا .
فقد قرر أن يعمل هناك . ونظرت إليه من جديد كأنني لا أصدق ما يقول
أو كأنني لا أصدق أن شاباً مصرياً قرر أن يعمل وحده ودون معونة
من أحد في هذه القارة السعيدة - وأنا أستخدم هذه الكلمة الأخيرة
استخداماً حقيقياً . فهي فعلا سعيدة وغنية . وهي تتسع لمئات الملايين
من الناس ، مع أن سكانها عشرة ملايين فقط ! ورأيت أمامي شاباً
نحيفاً ، متوسط القامة . أسود العينين ، وكان شعره منكوشاً .
فلم يعجبني هذا الإهمال ، ولاحظت أنه قد أمسك إحدى يديه
بالأخرى - فلم يعجبني أنه خائف !

وكتبت له عدداً من الخطابات إلى أصدقائي من أستراليا ، وإلى
أصدقاء من العرب .. وحاولت أن أفسر له سر سعادتي به .. عندما
لمعت في عيني أضواء مدينة سيدني الجميلة وشوارعها الرشيقة ومحلاتها
الفخمة . وهواؤها المنعش الذي يهب من القطب الجنوبي ، فيقابله
الناس بالبلوفرات الصوفية الغليظة والآيس كريم .. وبدأ صدري
يعلو ويهبط كأنني أستنشق عبير مدينة كانبيرا الهادئة الوقور ..

وأهم خطاب كتبه كان بعنوان : مستر جورج تشارلز ويليام .
وقلت له : إن هذا هو أهم خطاب ، ويجب أن تبحث عن هذا الرجل ،
فإذا لم تجده فافتح الخطاب وابعث لي به من جديد !

ومضى شهر وشهر .. وستة أشهر .. وجاءني خطاب من هذا المواطن
الشاب . وشعرت بشيء من الحجل : وبشيء من السرور . فقد سرني

أنه ذهب وأقام وصادق واستراح ونجح ، وأخجلنى أننى خدعته ، فهذا
المستر جورج تشالزويليام لاوجود له .. لا أحد بهذا الاسم الغريب .
وإنما هذا الخطاب كان موجهاً منى لهذا المواطن المصرى ، فقد قلت
له فيه : « أنت الآن لست فى حاجة إلى معجزة لكى تعيش .
أنت موجود . وهذا يكفى . وأنت لم تسقط بالباراشوت فى قلب الجليد ،
وإنما أنت فى قارة غنية منحصرة . وأنا عندما جئت إلى أستراليا سنة
١٩٥٩ كنت المصرى الوحيد . ولكن كان هناك ٣٠ ألف عربى .
وأنت شاب ومندوب دولة عريقة ، ولها مستقبل عظيم . وفى أستراليا
الآن سفارة لا تلجأ إليها إلا عند الضرورة . وشبابك وعزيمتك وصبرك
وأملنا فيك يدفعك إلى أن تكون مواطناً صالحاً . إن خطابى هذا ليس
شيكاً بلا رصيد .. فشبابك هو أعظم رصيد ! »
وأنا فى الحقيقة لم أخدعه ، وإنما أردت أن أكون أول من يبعث
إليه بخطاب بدون طابع بريد !



اليد اليسرى ليست مأساة !

لسبب غير معروف الآن كان الإنسان الأول في العصر الحجري يستخدم يده اليسرى بدلاً من اليمنى .

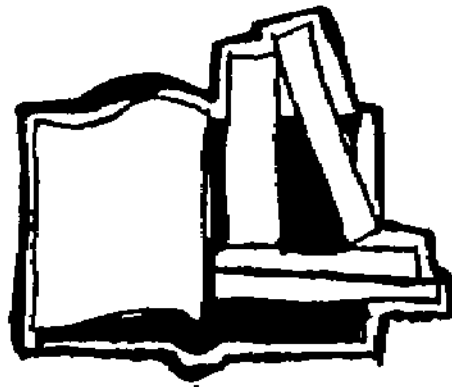
ومن المعلوم الآن أن خمسة في المائة من الناس فقط يستخدمون اليد اليسرى في الكتابة وفي العمل أيضاً . وكان الناس يظنون فيما مضى أن الشياطين فقط هي التي تستخدم اليد اليسرى ... لا شيء إلا لأن الشياطين يجب أن يكون لها أسلوب مختلف في كل شيء ، فلها عين واحدة في منتصف الرأس ، ولها أسنان من نار ، ولها ذيل كالشعبان ، ولها أنفاس كال دخان ، ولها أذنان كالحمار .. إنها كائنات عجيبة في كل شيء ! ومن الملاحظ أيضاً أن الطفل يستخدم يديه معاً ، ويتعلم بعد ذلك أن يستخدم اليد اليمنى . وبعض الأطفال قد أصر - لسبب غير معروف على استخدام اليد اليسرى . وفشلت كل محاولة لأن يستخدم اليد اليمنى ! ولكن الذي يكتب بيده اليمنى : والذي يكتب بيده اليسرى ، لا بد أن يهرش الجانب الأيسر من الرأس أيضاً . وأول من اهتدى إلى هذه الحقيقة هو أشهر عبقرى كان يرسم ويكتب بيده اليسرى : دافنشي ، وهو الرسام المثال الفيلسوف المهندس الطبيب الموسيقار المخترع العبقرى في كل شيء !

وبرنارد شو كان يكتب بيده اليسرى أيضاً ، وكان يقال عنه إنه يسارى من أصابع رجله حتى أصابع يديه .. وكان يقول هو : بل يسارى بعد ذلك أيضاً !

والفيلسوف بنيامين فرانكلين كان يكتب بيده اليسرى أيضاً .
 وكان يقول : إننى أحفظ بيدي اليمنى لاستقبال الناس فى أثناء عملى !
 وشارلى شابلن أيضاً .. والملاكان : تيريل وميلدنبرجر .. ولاعب
 التنس : دروينى . وهناك فرق للملاكمة كل أفرادها يستخدمون اليد
 اليسرى . وهذه الفرق فى روسيا وفى ألمانيا الديمقراطية ، وهى فرق
 محيرة وتبعث على ارتباك الخصوم .. وغالباً تفوز فى المباريات الدولية !

ولذلك لا أرى مسوغاً لفرع المواطن المصرى أبى الأبناء الثلاثة الذين
 يكتبون باليد اليسرى ، ولاداعى — أبداً — لأن يقسو على أبنائه ،
 ويرغمهم على تناول الطعام باليد اليمنى ، فيتساقط الطعام والدموع
 معاً .. ويتمزق قلبه حسرة عليهم !

فالفنان العظيم اليتيم اللقيط دافنشى كانت يده اليسرى تساوى
 كل الأيدي اليمنى واليسرى فى كل عصره ، ولم تكن مأساته الحقيقية
 هى أنه يكتب باليسرى على خلاف الناس ، وإنما لأنه ابن غير شرعى
 ولم يجد من يضربه على يده اليسرى ويبكى عليه بعد ذلك !



الزى المناسب

لا أعترض - مثلاً - على قزقة اللب . ولكنى أعترض أن يكون ذلك فى الأوبرا أو فى السينما .

ولا أعترض أيضاً على الفساتين القصيرة . ولكنى أعترض على أن يكون ذلك فى الجامعة حيث الروح الجادة . وحيث الرغبة الصادقة فى الانصراف « إلى » العلم ، وليس الانصراف « عن » العلم .

وإذا كان الدين يطلب إلينا أن نخلع أحذيتنا عندما ندخل إلى المسجد فليس فى ذلك دعوة إلى الحفاء وخلع الأحذية والمشى على لحم القدمين !

وإنما كل مكان له الزى المناسب . فالمايوه للبلاج ، وقمصان النوم للبيت . والفساتين القصيرة للشارع . والملابس المحتشمة المحترمة للأماكن المحترمة الجادة . مثلاً . وأنا لا أزال أعتقد أن الجامعة مكان يستحق الاحترام ، ويجب أن يصاب احترامه وتقديره ، فهى مكان مقدس فى كل الدنيا .

حتى إنجلترا التى اخترعت « المينى جيب » لا تسمح لطلابها بأن يكونوا خفافس ، ولكن ليس لديها أى مانع فى أن يتحولوا خارج الجامعة إلى خفافس وقطط و كلاب .. وأية حيوانات أخرى تعجبهم !

وأذكر أننى فى أول مرة ذهبت إلى باريس كانت فى رأسى صور سياحية مجنونة ، فقد تصورت أن الهواء فى باريس زفرات وأن المطر دموع ، وأن أغصان الشجر تلتف فى عناق دائم ، وأن الناس يشتعلون بالعواطف . ولكن عندما أقمت فى باريس أسابيع عديدة

وجدت باريس شيئاً آخر : العلم والبحث والفن ، وألوف الكتب الجديدة ، ومئات المجلات الأنيقة . وقاعات البحث والأساتذة العظام في باريس ليست كباريات وهواً ولعباً ، ولكن هناك الجد ، وهناك اللعب ، وهناك الجد أكثر !

وأخيراً أعترض على أن يدخل المواطنون دار الأوبرا بالقميص والبنطلون ، فليست هذه شعبية .. ولا هذه اشتراكية ، ففي الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يدخل أى مواطن الأوبرا أو المسارح أو حتى السيرك بالقميص والبنطلون ، فهذه جليطة صارخة ! والروس ليسوا جامدين ولا مترمطين ، ولكن هناك أصولاً لكل شيء . فكل مكان له الزى الذى يتناسب معه .. القميص والبنطلون والمئق جيب للشوارع والحداثق ، ولكن الملابس المحترمة للأماكن المحترمة .. ولا يمكن أن تكون الجامعة أو الأوبرا أقل احتراماً - فى نظرنا - من السيرك الروسى !



حيوان .. ولكنه

يختار زوجته !

الدماء التى تسيل فى كل العالم لم تمنع الناس من أن يتحابوا وأن يتزوجوا وأن يأتوا بالمزيد من الأطفال .. وتساقط القنابل والجنود لم يمنع الناس من أن يحرصوا عندما ينهضون من فراشهم على أن يلبسوا الحذاء وأن يتأكدوا من أنه مربوط جيداً .

والأرض تدور حول نفسها أمام الشمس . وسوف تدور سواء كانت هناك دماء أو طوفان يهلك الأرض ومن عليها !

وفى كل شارع طفل صغير يلهو بغطاء زجاجة ، أو يجمع الحصى من شاطئ البحر ، وأمه ترقبه بسعادة ، وترى فيه مكتشفاً عظيماً ، أو عبقرية جديداً . وتحس الأم - كل أم - بسعادة غامرة بأنها ولدت للإنسانية شيئاً عظيماً ، وأنها أعطت زوجها هذا الطفل الذى لا يستحقه .. وكل الأزواج - من وجهة نظر الزوجة - لا يستحقون أطفالهم .. !

وبنفس الحماس الذى تنظر به الأم إلى طفلها .. وبنفس الاهتمام الذى يربط به الناس أحديثهم .. وبنفس الدقة التى يصوب بها الجنود مدافعهم على أعدائهم ، يقف العلماء الروس والإنجليز فى خشوع شديد أمام زوجين من حيوانات « الباندا » فى حديقة حيوانات موسكو .. هذا الحيوان هو نوع من الدببة أبيض الرأس عسلى العينين .. الأنثى من بريطانيا واسمها : تشى تشى (٢٣٥ رطلا) والذكر من روسيا واسمه آن آن (٣٣٥ رطلا) ، والاثنان من الصين . وهما

الوحيدان اللذان يعيشان في المهجر . وأمل علماء روسيا وبريطانيا وأمريكا أن يتزوج الاثنان لينجبا حيواناً جديداً . هو أول حيوان من نوعه ولد خارج الصين .

وفي مارس الماضي أدخل نصف طائفة نفائة لكى تنقل الأنثى إلى موسكو . وفي موسكو حاول العلماء أن يقربوا بين العروسين فاقتربت الأنثى ودارت حول العريس . كما يفعل محمد على كلالى ، وقاست المسافة ، وهجمت على العريس تريد أن تضربه . وهنا تدخلت مقشات العلماء لإبعاد الاثنين .. ثم تجددت المحاولات ، وانتهت الجولة بعد دقائق ، وفقد العلماء كل أمل في هذا الزواج السعيد .. وقال أحد العلماء الروس : يبدو أن التعايش بينهما مستحيل .. فهما من أصل صينى !

ورفض هذان الحيوانان أن يتزوجا بالإكراه .. وهذا غارق جديد بين الإنسان والحيوان .. فالإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يستطيع أن ينام مع أعدى أعدائه في فراش واحد !



أب بالقطعة

وأب بالتعيين

في المجتمعات البدائية عندما تلد الزوجة يهرب زوجها إلى الغابة ، وبعد أيام يذهب إليه أفراد القبيلة يؤكدون له أن المولود إنسان وليس حيواناً . أى أن زوجته لم تكن على علاقة بحيوان آخر ، وأن المولود شبيه جداً به ، ومعنى ذلك أنه هو الأب الشرعى للطفل ..

وكثير من العادات البدائية أخفتها الحضارة الحديثة بأغشية رقيقة مهذبة ، فلا يزال هذا الشعور موجوداً بشكل ما عند الأب . فكل ما يصنعه عندما تلد زوجته أنه يشعر بنحس من القلق عليها ، وأحياناً ينحس قلقه في أحد الأفلام ، ويترك الزوجة تصرخ وتلعن الطب والدكاترة والممرضات . وعندما تضع طفلها تعرف من اللحظة الأولى أنها أم ، وأنها تعذبت في الحمل والوحم والولادة ، وأنها اجتازت اللحظة العجيبة ، وهي لحظة الولادة ، وهي أعذب أنواع العذاب .

وعندما يحس الأب يتفرج على المولود تؤكد له الأم والأخوات والحالات والعمات أنه - أى الطفل - الخالق الناطق أبوه .. عينه وأنفه وشفته .. ولا يرى الأب عادة شيئاً من هذا كله . ولا يتساءل الأب عادة ما هو المقصود من هذه المقاومة بينه وبين قطعة من اللحم ليست لها أية ملامح

وتعلم الأم بالغريزة أن زوجها يريد أن يقوم بمهمة الزوج فقط أما هي فعليها أن تكون زوجة وأماً . ولذلك تحاول بمجهود هائل أن

تنقل الزوج إلى وظيفته الجديدة . وهى وظيفة الأب . وذلك بأن تشغله بالطفل أو بالأطفال . ومتاعب الطفل وأمراضه وضحكته ولعبته .. وإذا بالأب الذى لم يبذل أدنى مجهود فى أن يكون أباً . قد تحول بالتدريج إلى أب .. وأصبحت الأبوة نوعاً من الهواية . ولكن الأم تبذل جهداً آخر فى أن تجعله يتحول من الهواية إلى الاحتراف .. ومن أب يفعل عند كل طفل يولد ، أى أب يعمل بالقطعة . إلى أب موظف .. أب بالتعيين . وطريقة الأم هى أن تجعل الأطفال يتعلقون بأبيهم ويرتبطن به عند الأكل والنوم . بل إنها تقسو على أطفالها ليرموا أنفسهم فى حضن أبيهم ، فيقوم الأب فى هذه « المناورة » بدور رجل السلام ..

وكل المعارك التى تدور بين الأزواج عند ولادة طفل ليست إلا محاولة عنيفة من الزوجة أن تجعل زوجها أباً . وليس إلا إصراراً من الزوج أن يظل زوجاً . ولكن هذا الإصرار لا يلبث أن يلين أمام الكلمات التى تنهى عادة بنون وألف — أى ابنتا وطفلتنا ووحيدنا ونحلفتنا .. وهنا لا يملك الزوج إلا أن يكون أباً بالتعيين !



الهوسه الجماهيرية

التويست وكرة القدم وأم كلثوم والزار .. هي جميعاً عمليات غسل مخ صدمات كهربائية ، تدليك عقلى ونفسى .. غيبوبة عن الإحساس لتريحنا من الشعور اليومي بالتعب والتوتر النفسى .
وليس بالصدفة أن يقبل الناس فى العالم كله على الرقص المجنون .. على الجاز .. على الزار الحديث .. إن ضوضاء الموسيقى ترهق الأعصاب وحركات الالتواء العنيف الطويل ترهق الأجسام .. وبعد ذلك يسترخى راقص التويست وراقص الزار .. وهذا الاسترخاء يؤدى إلى الشعور بالارتياح .

وكثير من الذين يرقصون أو يذهبون إلى الزار ليستريحوا يدمنون الرقص ويدمنون الزار .. هذا الإدمان يضعف مفعول الرقص والزار ، ولذلك لم يكن غريباً أن يتجه الشبان فى أوروبا وفى أمريكا إلى المخدرات .. فالمخدرات تشبع الاسترخاء الذى يعجز الرقص والزار عن تحقيقه ولهذا انتشرت المخدرات بين الشبان ، بين راقصى التويست وبين ضحايا الزار أيضاً !

وكرة القدم هي حماس جماهيرى صارخ .. وهذا الحماس الشديد يجعلنا متوترين . وهذا التوتر يهزنا باستمرار لكل لعبة وكل شوطة وكل هدف .. ويهزنا أيضاً إذا لم تكن هناك أهداف . فالمهم هو أن نهتز بعنف . والذى لا يتحمس إلى ناد رياضى تكون اهتزازاته وتوتراته

وصيحاته أضعف وأقل عنفاً ، ونحن حريصون على أن نفعل بشدة ،
ولذلك نختار أحد الأندية ونتحمس له .. نشور له ونثور عليه ، وسواء
فاز النادي الذى نتحمس له أو لم يفز فإن الشحنة العاطفية لهذا
النادى قد أرهقتنا .. ولكنها أراحتنا بعد ذلك .

وحفلات أم كلثوم أيضاً .. فالناس حريصون على مشاهدتها أكثر
من أى وقت مضى .. السيدات يجدن فيها فرصة للظهور بفساتين
وتسريحات جديدة .. والرجال يذهبون أيضاً وهم متحمسون لأم
كلثوم .. وفي حماسهم لأم كلثوم نجدهم يتحمسون لألحان عبدالوهاب
أو السنباطى أو بليغ حمدى .. وكل واحد يركز حماسه على ملحن
معين .. وهذا التركيز يشعل فيه نار الحماس والتصفيق ، وفي هذه
النار العاطفية الفنية تتطهر النفس من متاعب الحياة اليومية .

وكلما تعبت أعصابنا بحثنا عن « هوسة » جماهيرية لنغرق فيها
عقولنا .. لنطفو بأجسامنا على بحر الحياة !

